من شؤون المسلمين والعالم

سياسة العنف الأمريكية والسوفييتية

يتحدّثون عن الرئيس الأمريكي الجديد (رونالد ريجان) ويتنبؤون بسلوكه سياسةً أقرب إلى العنـــف والمواجهـــة وفرض الأمر الواقع بالقوة .. وكأنّهم يتحدّثون عن أمر جديد في السياسة الأمريكية ، وما هو بجديد .. بل هو سمتـــه البارزة منذ وُجدت (دولة أمريكية) إلى يومنا هذا ..

إنّ سياسة العنف الأمريكية سياسة متأصّلة بجذور تاريخية واجتماعية بعيدة المدى .. ولها صور ثابتة في الـــداخل والخارج على مرّ مئات السنين ، لا يجهلها من يرى (الفكر الأمريكي) نفسه متجلّياً في أفلامه السينمائية عن الهنـــود الحمر ، ورعاة البقر ، والعصابات المسلّحة .. وحتى عن الأوضاع السياسية الراهنة وما يكمن وراءها مـــن (قـــوى) حقيقية موجّهة للأمور .. فهل يجهلها من يرى (الفكر الأمريكي) متجلّياً عبر عشرات السنين الماضـــية ، في فيتنـــام وكوريا ، وأمريكا الجنوبية والوسطى ، وفي لبنان وفلسطين .. وفي القنابل الذرية التي وجدت طريقها إلى هيروشـــيما وناغازاكي ، والقنابل النيترونية التي تبحث عن طريقها وضحاياها في المستقبل

ويبرّرون سياسة (ريجان) بأنّها الردّ الذي لا بدّ منه على سياسة السوفييت العنيفة ، بعد أن أثبتـــت حقيقتـــها في أنجولا والحبشة وكوبا .. وفي أفغانستان ، ولا تختلف سياسة السوفييت هذه في (أصالة) عنفها عن السياسة الأمريكية، فجذورها التاريخية والاجتماعية راسخة أيضاً ، من عهد روسيا القيصرية إلى عهد الثورة الحمـــراء الدمويـــة ، وإلى عشرات السنين الماضية من المجر إلى تشيكوسلوفاكيا .. وربّما إلى بولندا في وقت قريب .. سياسة قائمة على (فكرٍ) العنفُ ميزته ، ووسيلته أيضاً لفرض ما يريد على الأضعف دائماً وفي كلّ مجال

ويمكن الاستغناء في هذا الموضع عن الحديث حول الصهيونية وعنفها ، فهي بفكرها ووجودها وليـــدة طبيعيـــة للمجتمعين الغربيّ والشرقيّ ، منهما رضعت ، وبسلاحهما نمت ، وبتأييدهما استمرّت حتى الآن

إنّما يجب الحديث عن حقيقة كثيراً ما تغفل عنها الأبصار المتطلعة إلى عدد الصواريخ والقنابل ، وحجم الطاقات الاقتصادية والبشرية .. إنّ القوى الغربية والشرقية على السواء عاجزة كلّ العجز عن تحقيق أيّ هدف من أهدافها في البلدان الأخرى -رغم صغر هذه البلدان وضعف إمكاناتها نسبياً- لولا الأدوات التي تجدها جـــاهزة أو تـــساهم في إيجادها داخل تلك البلدان

وهذه الأدوات (أشخاص) لهم الأجسام البشرية كالروس والأمريكان ، ولهم نفوس صغيرة قابلة للتبعية للـــروس والأمريكان ، ولهم نفوس صغيرة قابلة للتبعية للروس والأمريكان .. فتراهم هم الطريق لدخول الغرب والـــشرق إلى بلادنا ، ناشرين للفكر أحياناً ، داعين لعقائد الغرب والشرق أحياناً أخرى .. لابسين ألبـــسةَ الوطنيـــة والليبراليـــة والقومية والعلمانية والاشتراكية ، وقناعَ التقدّم الحديث في مختلف الأحيان .. ثمّ تراهم في مرحلة لاحقة هم العاملين لحساب الشرق أو الغرب مقابل مصالح ومنافع دنيوية رخيصة ، قبل أن يوجد للغرب أو الشرق ركيزة نفوذ حقيقي في بلادهم من قبلهم .. فيوجدونه تدريجياً ، ثمّ تجدهم في مرحلة ثالثة قد لبسوا لباساً عسكرياً فقاموا بانقلابٍ يعلـــن الولاء لأمريكا ويفرض نفسه بقوة الدبابات ولغة العنف على الشعب ، أو يعلن الولاء لروسيا ويفرض نفـــسه بقـــوّة الدبابات ولغة العنف على الشعب .. وقد تجدهم يصلون إلى السلطة بأساليب أخرى غير الانقلابـــات ، ولكـــن لا يختلف إعلانهم للولاء الصريح رسمياً ، أو القائم فعلياً من خلال الارتباطات والمعاهدات والخبراء والسياسات المتّبعة .. ولا عجب أن يكون العنف ديدنهم في الداخل ، فمنبع تفكيرهم وسرّ وجودهم هو سياسة العنف المتأصلة في الـــشرق والغرب

إنّ مواجهة سياسة العنف الغربية والشرقية رهن بمواجهة هذه النفوس الصغيرة ، فإن بقيت ممتنعة عـــن أن تكـــبر وتتجاوز ذاتها وواقعها ، فليس من طريق لانتزاع البلدان الإسلاميّة من فلك التبعيات والخـــضوع للعنـــف الـــشرقيّ والغربيّ (والصهيوني) إلاّ طريق تغيير الواقع الذليل الذي أوجدته تلك الأدوات داخل أرضنا .. ولا يقوم بمثـــل هـــذا التغيير إلاّ أصحاب النفوس الكبيرة ، التي تدرك طبيعة الطريق الذي سلكته العصبة المؤمنة الأولى مـــع محمـــد ﷺ ، فواجهت بطاقاتها المادية المحدودة الحجم في الأصل طاقات الدولتين الكبريين في ذلك العصر .. تجد في ذلك العون من الله ، وتجد التأييد من شعب بعد شعب ، ما بين المحيطات الثلاثة .. من تلك الشعوب التي استخفّ بها حكامها آنذاك فأطاعتهم ردحاً من الزمن ، ولّما أبصرت طريق الهدى والخلاص أصبحوا هم أثراً بعد عين ، وقامت في تلك الشعوب وعلى أرضها حضارة حقيقية تعجز أبصار أتباع الشرق والغرب عن التطلّع لمثلها ، وتصغر النفوس الـــصغيرة عـــن استيعاب أسرارها .